# أحزان الوجود

ما لقلبي شفّه بَرْحُ الضّنى ... ولنفسي قد تغشّاها السأمْ
أبداً يا قلب تغويك المنى ... ثم لا يعقبها إلا الندم
هل يضيع العمرَ إلا أننا ... نترك السهل ، ونرتاد القمم !
لو أصبنا لاتخذنا مسكنا ... في صحارى اليأس ، أو وادي العدم

نحن جرّبنا الأماني والخيالْ ... وجرينا خلفها طول السنينْ
ومنحناها شبابا لن يُنال ... مرة أخرى من الدهر الضنين
ثم ماذا ؟ أين أحلام الليال ؟ ... لم تعد إلا هباء لا يَبين !
تكشف الأنوارُ ما تخفي الظلال ... فترى الوهمَ عيونُ الناظرين

ليتنا لم نعرف الشوق إلى ... عالم لا يتراءى للعيانْ
ليتنا لم نَغْمر بالوهم على ... ذروة الكون ، وآفاق الزمان
وبقينا حيث كنا أوّلاَ ... نجد الأفراح في كل مكان
لم نكن نعرف ما الشوق ، ولا ... ما الأماني ، والتهاويل الحسان

نحن كنا نأخذ العيش كما ... تمنح الدنيا ، فكنا سعداء
ونغنّي للربيع ابتسما ... مثلما كنا نغني للشتاء
لم نكن ندري الحنين المبهما ... نحو أفْق الغيب ، أو دنيا الخفاء
وارتعاشَ القلب أمسى مُغْرَما ... برؤى الحب ، وأسرار اللقاء

فترة . . . ثم مضى عهد الصِّبا ... وأتى من بعده عهد الشبابْ
فإذا معنًى بقلبى انسكبا ... مثلما ينهلُّ فى الكأس الشراب
فصحا القلب وغنَّى وَصَبا ... نحو أُفْق يتوارى بالحجاب
ورأينا الكون مهما رحبا ... ضيِّق الأرجاء، محصور الرحاب

ومضينا أنا والقلب معا ... نعصر الأحلام من كَرْم الليالى
ونرى العالم قفراً بلقعا ... حين لا نسكر من خمر الخيال
ونرى الصحراء روضاً ممرِعا ... يزدهينا، وهْو من وهم الرمال!
ذاك وَهْمٌ ليته قد رجعا ... بعد أن آذن قلبى بالزوال

هكذا عشنا على أحلامنا ... فترة كانت ربيعاً فى الحياهْ
وبنينا من رؤى الوهم لنا ... عالماً لا يدرك الطرف مداه
طاب فيه العيش حتى إننا ... لم نكن نصبو إلى شىء سواه
وتهادى زورق العمر بنا ... ورؤى الآمال تسرى فى سناه

وكما يَفنَى من الزهر الندى ... حينما ترمقه شمس الصباحْ
ذهبت أحلام قلبى بَدَدَا ... حينما طاف بها الفكر الصُّراح
فإذا الأيام يذهبن سدى ... كهشيم الزهر تذروه الرياح
لن نغنِّى يا فؤادى أبدا ... لا... ولن نبكى، فما يجدى النوح

لم يعد يسكرنا هذا الرحيق ... مذ عرفنا أنه وَهْمُ الظماء
لم يعد يخدعنا هذا البريق ... حين أدركناه، فانماع الضياء
والذرى والسهل والوادى السحيق ... كلها صارت لدى القلب سواء
ذابت الأحلام والشوق العميق ... وانتهى عهد الأمانى والرجاء

محنة رانت على عمرى السجينْ ... صيرْته موحشاً مثل القبورْ
حيرة طافت على قلبى الحزين ... فهْو لا يدرى إلى أين المسير
جفّت الكاسات، بل جف المعين ... وذوى فى مهجتى الزهر النضير
وتوارى كل شىء فى السنين ... فتهاوينا إلى هذا المصير

هذه المحنة من أوجدها ؟ ... أأنا أم أنت ؟ بل نحن براء
هذه الأحلام من بدَّدها ؟ ... هى يا قلبى أعاصير السماء
وسهام اليأس من سدَّدها ... ورماها ؟ إنها كف القضاء
هذه القوة لن نجحدها ... قد رأينا فعلها بالضعفاء

فلنعش يا قلب فى الدنيا كما ... تتنزَّى الطير فى جوف الحِبالَهْ
هى كأس أترعوها علقما ... وعلينا شربها حتى الثمالَه
لا نرى فيها جديداً . . . كلما ... غاب شىء أطلع الدهر مثاله
وعجيب الأمر ألا نسأما ... بينما الأيام ينضحن مَلالَه

وإذا جاء الفناء المنتظرْ ... يسأل الرحلة عن هذا الوجودْ
فلنقل : هذا الرجاء المدَّخر ... ذلك الشىء الذى كنا نريد
فلقد عشنا كما شاء القدر ... بين يأس وملال وشرود
ولْنَسَلْه فى أناة وحذر ... قبل أن نتبعه : هل من جديد ؟

ابراهيم محمد نجا